مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

إشكالية التحقيب في عصر سلطنة غرناطة

زينب كاظم عبد الحسن الفاضلي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 2025 /5/18
تاريخ القبول 2025 /6/ 17
تاريخ النشر 2025 /7/ 24

الكلمات الرئيسية:

الاندلس، غرناطة، التحقيب، بني الأحمر، النصريين.

المستخلص باللغة العربية:

الملخص
من بين المشاكل التي تعترض الباحث في التاريخ مشكلة التقسيمات الزمنية أو ما يعرف بالتحقيب التاريخي وقد أثارت مسألة التحقيب انتباه مجموعة من المفكرين واستطاع البعض منهم التوقف عندها والاجتهاد في ايجاد تفسير لها، يعتبر التحقيب من بين الوسائل الضرورية لتأطير وتنظيم أحداث الماضي وفق تقسيمات زمنية بهدف الوقوف على معانيها ومدلولاتها التاريخية الحقيقية، ويساعد على تقريب التاريخ من أفهام الناس، وفي هذه الدراسة تناولت اشكالية التحقيب في سلطنة غرناطة التي تعد (حقبة) كاملة واحده لها اختلاف وتشابه في الوقت نفسه بما مر على الاندلس من عصور مستقله لكونها تميزت عن من سبقها اذ مثلت الكيان السياسي الاسلامي في الاندلس، ويعتبر عصر بني الأحمر(النصريين) اخر العصور التاريخية للأندلس من (سنة629ه وقيل سنة 635ه) الى (سنة 897ه)، وطبيعي ان تكون هذه الحقبة مرشحاً للتغيير ما إن يحصل تحول في المعطيات التي كانت أساس تشكلها في الأصل، وفقاً للمعطيات الأدبية والتاريخية تكون صورة المجتمع الاندلسي قد اكتملت من الفتح وحتى سقوطهم ثمان عصور.

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

تناولت الدارسة أهمية التحقيب في سلطنة غرناطة الذي يتعدى بوصفه عملية فنية او تقنية خالصة بل وصفه ممارسة نظرية تشتمل على مفاهيم جديدة لتفسير الاحداث او السياق او البناء المتكامل لمرحلة تاريخية معينة ونحن اليوم بصدد حقبة مملكة غرناطة التي اقترن اسمها بدولة بني الأحمر التي لم يبق بأيدي المسلمين منذ منتصف القرن السابع الهجري إلا هذه المملكة الصغيرة التي تبلغ مساحتها نحو عشر شبه الجزيرة الايبيرية، وسميت الاندلس الصغرى فهذه حقبة كاملة واحده لها اختلاف وتشابه في الوقت نفسه بما مر على الاندلس من عصور مستقله لكونها تميزت عمن سبقها اذ مثلت الكيان السياسي الاسلامي في الاندلس عن الأرض والجزء المهم المتبقي (غرناطة) على اعتبار ان هذه الحقبة اختلفت في كل مجالات الحياة عن باقي الحقب وانفردت بخاصية وهي آخر معقل للمسلمين فتحتاج منا الكثير من التأمل والتفكير.

تناقش الدراسة مسألة التحقيب التي أثارت انتباه مجموعة من المفكرين والمؤرخين المعاصرين، استطاع البعض منهم التوقف عندها والاجتهاد في ايجاد تفسير لها، ومن بين المغاربة الذين ناقشوا هذه المسألة بعمق المفكر عبد الله العروي في كتابه: مفهوم التاريخ، ومحمد عابد الجابري في كتابه: تكوين العقل العربي، وكذلك أحمد التوفيق في مقال له يحمل عنوان: تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر أفكار في التحقيب، واعتمد الكثير من الدارسين والباحثين على التحقيب السياسي فأطروا ابحاثهم ومؤلفاتهم وفقه محاولين تسويغ ذلك بان لكل عصر من هذه العصور بصماته المميزة المتجلية في محصلته التاريخية فقد اخضعوا التاريخ الاندلسي لتحقيب الزمن السياسي فوزعوه على عصور دون مراعاة الفوارق والخصوصيات، ومنها النهضة الأدبية المعجزة الاندلسية المتمثلة باستمرار النهضة الفكرية والثقافية والأدبية فقد كانت مزدهرة تحت ظل الفشل السياسي.

واقتضت دراسة الموضوع تقسيمه على مبحثين تطرقت في المبحث الأول الى التحقيب ومفهومه وأنواعه، واما المبحث الثاني تناولت حقبة سلطنة غرناطة، وأخيراً الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول / التحقيب ومفهومه وانواعه

اولاً / مفهوم التحقيب

أصبحت مسألة الزمن والتحقيب التاريخي تحتلّ مركز الاهتمام في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ ما انفكّت تثير نقاشًا متعدد الاختصاصات يجدد إشكالياتها ومقارباتها، فقد اهتم الدارسون في العالم الغربي بهذا الموضوع منذ قرون، لكنّه لم يحظى باهتمام كبير في البلاد العربية والإسلامية، وفي العالم غير الأوروبي عمومًا، مع أنّه يمثّل حقل استكشاف وتفكير له بعد معرفي، وهو ما يطرح أرضية خصبة للنقاش بين الباحثين، جعلتهم يختلفون في تحقيب التاريخ[1].

التحقيب (لغة) الحقبة من الدهر، مدة لا وقت لها والحِقبة بالكسر، السنة والجمع الحقب ثمانون سنة ، أما (اصطلاحاً) هو الكشف عن الأسس الأدبية وغير الأدبية التي تتحكم في التحقيب ، وجاء ايضاً هو تقسيم المسيرة التاريخية بهدف استخلاص مجموعات التحقيب في التاريخ لادبي باعتباره واقعة خاصة وبالتالي يتميز بزمنية مستقلة وبين التاريخ العام [2] .

التحقيب في التاريخ يعني تقسيم التاريخ في الزمن إلى حقب متميزة، إما بالنسبة لتاريخ عالمي شامل مفترض أو بالنسبة لتاريخ حضارة ما بين ظهورها وسقوطها أو بالنسبة لتاريخ أمة أو بلد أو جماعة، ويختلف التحقيب تبعًا للحقول المعرفية، فنجد التحقيب الجيولوجي، الاقتصادي، التاريخي ، فالتاريخ المكتوب هو أصلاً تقويم وتحقيب، أما التجزئة الفلكية حسب السنين والعقود فقد تمت في مراحل لاحقة ، يعتبر التحقيب من بين الوسائل الضرورية لتأطير و تنظيم أحداث الماضي بهدف الوقوف على معانيها و مدلولاتها التاريخية الحقيقية[3].

كما أن المؤرخين وخلال القرون الماضية قد اهتموا في المقام الأول بالأحداث السياسية، وكانت كتاباتهم مقصورة على الحروب، وشؤون الدولة وملوكها وقصورها، حيث رتبوا الأحداث وأوردوها حسب السنين، أما الآن ولا سيما منذ بدايات القرن العشرين، فقد وجه المؤرخون اهتماماتهم نحو العديد من الموضوعات الأخرى، فينظر بعضهم في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ويتقصى آخرون تطور الحضارات والفنون أو العناصر الأخرى للحضارات، أما البعض الآخر فقد اتجه نحو النصوص وانشغل بتحليلها والتأريخ لها محللا نصوصها ومفرداتها وأوراقها [4].

ثانياً / أنواع التحقيبات

لقد دأب المؤرخون على تناول التاريخ بصفته جملة من الحوادث المتعاقبة في الزمن، ولو نظرنا إلى تقسيم تاريخ الاندلس، لوجدنا تقسيمات مختلفة للزمن، وهي تقسيمات تخضع إلى نوع من المنطق الداخلي الذي تقوده إما الحوادث الكبرى، وإما الظواهر الاجتماعية أو الاقتصادية، وإما غيرها من الظواهر التي تطغى على نسق الحياة الاجتماعية آنذاك، وهو ما يسمح بالقول إن هناك تحقيباً يعتمد الحوادث ، ويمكن أن نسميه التحقيب بالحوادث، وآخر يعتمد الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، ويمكن أن نسميه التحقيب بالظواهر، وثالثًا يعتمد الأجيال والسلالات، ويمكن أن نسميه التحقيب بالأجيال والسلالات واكثر ما يستخدم التحقيب بالسلالات عند العرب بعد انتشار الإسلام على رصد الحقب الزمنية انطلاقًا من أصحاب السلطة، فتم تقسيم الزمن إلى فترات متصفة بحكامها عصر الرسالة والخلافة الراشدة، والعصر الأموي، والعصر العباسي، ثم تتفرع في ما بعد سلالات عديدة تزداد قيمة وتقل شأنًا بحسب الظروف، ويبدو هذا التحقيب من التحقيبات التي لا تراعي إلا من كان على رأس السلطة، من دون النظر إلى التغيرات السياسية الكبرى، ولا تراعي ما يعتمل في المجتمع من حراك اجتماعي، وتطوّر اقتصادي أو فكري، أو غير ذلك من ضروب التغيرات التي تطرأ على المجتمع [5] ، وتطرح مسألة التحقيب في العالم العربي عدة إشكالات كيف نلائم بين ما هو خاص بنا وخاص بغيرنا؟ وكيف نتموقع ضمن المسارات الزمنية التاريخية؟

المبحث الثاني / حقبة سلطنة غرناطة

إنّ دراسة التاريخ باستخدام تعريف العصور التاريخية، تمكّن من تحديد فترات (حقب) تاريخية معينة لأن حقب التاريخ هي إطار زمني محدد تحتوي على خصائص مشتركة.

اولاً / إشكالية الحقبة

التحقيب هو نتاج لاتفاق يحصل في لحظة ما بين فاعلين معينين في أطار جغرافي وفكري وزمني محدود، يعتبر عصر بني الأحمر (النصريين) اخر العصور التاريخية للأندلس من سنة 629ه [6] وقيل سنة 635ه [7]، الى سنة 897ه ، وطبيعي ان تكون هذه الحقبة مرشحاً للتغيير ما إن يحصل تحول في المعطيات التي كانت أساس تشكلها في الأصل ، وفقاً للمعطيات الأدبية والتاريخية تكون صورة المجتمع الاندلسي قد اكتملت من الفتح وحتى سقوطهم ثمان عصور، فضلاً عن إعادة النظر في آلية العصور التاريخية الاندلسية من الناحية التحقيبية و هناك دراسات تخص العصر(المورسكي) يعتبره البعض اخر العصور الاندلسية (عصر المورسكيين) فيصبح التقسيم تسع عصور.

وبدأت حقبة جديدة في تاريخ الاندلس ، و اقترن اسم هذه الحقبة بسلطنة غرناطة في تاريخ الاندلس و باسم اسرة بني الأحمر او بني نصر تلك الدولة الإسلامية الصغيرة التي اوجدتها ظروف غير عادية وبقيت صامدة للفتن السياسية بالداخل والتيارات الحربية من الخارج قرابة قرنين ونصف من الزمان ، مملكة غرناطة او امارة غرناطة او الدولة النصرية او دولة بني نصر كما وردت تسمياتها في كتب التراث الاندلسي هي اخر دولة إسلامية قامت في الاندلس سنة 635 ه / 1237م على يد والي جيان وأرجونة الغالب بالله أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري المعروف بأبن الأحمر[8] ، الذي يعد اول امراء هذه الدولة تأسست مملكة غرناطة بعد انهيار الدولة الموحديَة في المغرب والأندلس في ثنايا الفتن والدسائس والثورات واستمر حكمه 41 سنة، الاضطرابات والفوضى جعله يفكر بإقامة دولة ولملمة مابقي من العرب المسلمين في الاندلس ، وقد حكمت مملكة غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس ما يزيد على قرنين ونصف [9]، ومن هذه الزاوية بالذات تكتسب مسألة التحقيب أهميتها بوصفها متغير بتغير الفاعلين فهو بذلك يعبر عن رؤيتهم للزمن ، وللتحقيب في الكتابة التاريخية رهانات متغيرة من خلال استعمالاته المختلفة في الزمان والمكان اذ هو في النهاية لا يغدو ان يكون اكثر من تصنيف تفضيلي او تحقيري ، وقد حصل هذا لحقبة مملكة غرناطة فقد ترك إشكالية خيانتها وتسليمها للنصارى والبعض يشيد بتاريخها .

وقد تم رصد هذه الحقبة زمنياً انطلاقاً من أصحاب السلطة تزداد قيمة وتقل شأناً بحسب الظروف، وقد تعرضت هذه الدولة لاضطرابات سياسية بين ملوكها، بعد مؤسسها الأول اضطراب الحياة السياسية وسيطرته على مختلف النواحي في مملكة غرناطة، ولم تراعي ما يعتمل في المجتمع من حراك اجتماعي وتطور اقتصادي او فكري او غير ذلك من ضروب التغيرات التي تطرأ على المجتمع.

اود الإشارة الى نص لسان الدين ابن الخطيب (ت(ت 776 ه) أحد وزراء الدولة المقربين الذي يصور لنا ما وقع بين ملوكها بعد مؤسسها الأول ابن الأحمر وخير من صور لنا واقع بداية هذه الحقبة قائلاً [10]: ((... وولّي بعده ولده وسَمِيُّه السلطان أبو عبد الله، وطالت مدته إلى أن توفي عام احد وسبع مئة، وولّي بعده ولده وسَمِيُّه أبو عبد الله محمد، وخُلع يوم الفطر من عام ثمانية وسبع مئة، وولّي بعده خالعه أخوه نصر أبو الجيوش، وارتبك أمره، وطلب الأمر ابن عم أبيه السلطان إسماعيل بن الفرج بن إسماعيل ، فتغلب على دار الإمارة من عام ثلاثة عشر وسبع مئة، وانتقل نصر مخلوعاً إلى مدينة وادي آشي، وتوفي عام اثنين وعشرين وسبع مئة، وتمادى ملك السلطان اسماعيل عام خمسة وعشرين وسبع مئة، ووثب عليه ابن عمه في طائفة من قرابته فقتلوه ببابه، وخاب فيما أملوه سعيهم، فقتلوا كلهم يومئذٍ، وتولّى أمره ولده محمد، واستمر إلى عام أربعة وثلاثين وسبع مئة، وقتل بظاهر جبل الفتح بأيدي جنده من المغاربة، وتولّى الأمر بعده أخوه أبو الحجاج يوسف، ودام ملكه إلى عام خمسة وخمسين وسبع مئة، وترامى عليه في صلاته ممرور بمدية في يده فقتله، وقدم لأمره الأكبر من أولاده))

من خلال هذا النص يتضح لنا ما شهدته غرناطة في هذه الحقبة من اضطرابات سياسية بسبب ملوك الدولة بعد مؤسسها الأول ، وتعاقب الملوك من بنى الأحمر على مدى القرون التالية وتراوحت علاقاتهم بجيرانهم من سلاطين بنى مرين بالمغرب وملوك قشتالة وأرغون النصارى بين المواجهة والمحالفة، وبلغت دولتهم في بعض العهود درجة عالية من القوة والازدهار ، كما قدر لها أيام محمد الغنى بالله بن يوسف 755-793هـ/1354-1391م ، وفي القرن التالي يشهد تدهور الأحوال بسبب نشوب الثورات وتزايد الحملات النصرانية والتنازع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وخلال السنوات الثلاثين الأخيرة نشبت الحرب الأهلية بين السلطان أبى الحسن على بن سعد وأخيه محمد (الزغل) ثم مع ابنه أبي عبد الله ، ويأسر جيش قشتالة هذا الأخير ويرغمونه على تسليم غرناطة بعد سقوط معاقلها الكبرى في سنة 897هـ/1492م [11] ، و ما يميز هذه الحقبة بأنها حددت معالمها عملية طويلة من التفاعل بين عناصرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، فأصبح ينظر أليها على انها فترة تحول تمثلت ولو بصورة رمزية بتحول مركز الحضارة من (المسجد) لدى الاندلسيين الى الممالك النصرانية (الكنيسة) والتي أصبحت بداية تحتل شيئاً فشيئاً موقع الصدارة في الحياة السياسية الاجتماعية ، وأود الإشارة الى تعبير ابن خلدون ، ان التاريخ جزء من تابعية المغلوب للغالب [12] .

والحقيقة أن مصير الأندلس كان واضح مذ فشلت ريح دول الطوائف، وغلب عليها الخلاف والتفرق، وانحدرت إلى معترك الحرب الأهلية، تفسح لعدوها الخطر مجال التفوق عليها، والضرب والتفريق بينها، اذ تنبأ رجالات الاندلس لمصيرها ، فقد أشار ابن بسام الشتريني مؤرخ الأندلس في القرن السادس الهجري الى مصير الاندلس فقد سقطت جميع المدن بيد الصليبيين، ولم يتبقى إلا غرناطة في أقصى جنوب الأندلس أشار الى القتل والسبي وشنيع الاعتداء[13]: ((وقد أفشينا في شرح هذه الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة، طالما حذر عليها أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من آثاره)) .

ثانياً / أهمية غرناطة

تقع في الركن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الأيبرية، كانت عند الفتح الإسلامي محلة صغيرة، وكانت إلبيرة المجاورة لها هي المدينة الكبيرة في المنطقة، حتى أن الكورة سميت باسمها، وفي مطلع القرن الخامس الهجري شهدت غرناطة توسعاً كبيراً وأصبحت مركزاً للكورة وذلك لأن بني زيري اتخذوها حاضرة لهم، ونظراً لمنعة

موقع غرناطة، فقد ازدادت أهميتها بصورة كبيرة خاصة بعد سقوط الحواضر الاندلسية الكبرى بيد الممالك النصرانية ، حيث غدت حاضرة ملوك بني الأحمر ومن تبعها جيّان التي استولى بني الأحمر عليها سنة 629 ه ،من ابن هود ثم على بسطة ووادى آش شمالي غرناطة، ثم على غرناطة نفسها سنة 635ه ، واتخذها عاصمة وامتدّ سلطانه في الشرق إلى مالقة والمرية، غير أنه اضطر إلى التخلي عن جيان سنة 643ه لملك قشتالة، وعقد معه معاهدة التزم فيها بتقديم عون له في استيلائه على إشبيلية سنة 646 ه ، واتسع بسلطانه شمالي مالقة والمرية حتى لورقة وجنوبيا حتى جبل طارق والجزيرة الخضراء وحتى لبلة وشريش وشذونة في الجنوب الغربى لغرناطة، ومكّن له من تثبيت ملكه حنكته السياسية وطول مدة حكمه حتى سنة 671ه [14].

، وقد عرفت غرناطة باسم دمشق الأندلس لشدة التشابه بينهما، كما أنها موطن جند دمشق، ويتواجد اليهود فيها بكثرة وقد ظلت غرناطة بيد المسلمين إلى أن سقطت بيد النصارى سنة 898هـ ، ومن هنا نجد أن لكل حقبة من التاريخ مزاياها الخاصة في حقبة كان الصراع والتطاحن فيها بين الحواضر الاندلسية والممالك النصرانية وتنازل بعض الامراء وخيانتهم هو السمة الطاغية على العلاقات[15] .

لم تكن نهاية حقبة مملكة غرناطة مفاجئاً ولا يتحملون الوزر لوحدهم وانما هي نتاج تراكمي لبقية العصور السابق ، فقد عاشت غرناطة سنوات عديدة تعتمد على مساعدة ملوك بني مرين في المغرب ومع ضعف الدولة المرينية فقدت غرناطة أهم حليف لها في مواجهة الممالك النصرانية وكان سقوط جبل طارق بيد القشتاليين سنة 1462م ضربة عنيفة لمسلمي غرناطة، اذ حال ذلك دون وصول الإمداد من عدوة المغرب، وقل العون نتيجة ضعف الدولة المرينية التي انتهت في سنة 1464م بعد أن عاشت قرنين من الزمان تمد يد العون لغرناطة وحل محلها دولة فتية هي دولة بني وطاس لكنها لم تكن من القوة لتقوم بدور بني مرين ومن قبلهم تجاه نصرة الأندلس وما ان حل منتصف القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها، قد سقطت في يد اسبانيا النصرانية [16]، ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية بالأندلس، سوى بضع ولايات صغيرة في طرف اسبانيا الجنوبي وأخذت الأندلس عندئذ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى، شعور عميق بمصيرها المحتوم .

يجب الالتفاف الى صيرورة عملية الانتقال التاريخي ووضوح التمايز بين حقبة مملكة غرناطة وسابقها يستلزم مساحة زمنية واسعة تتفاعل فيها جميع المؤثرات والعوامل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً، كي تبدأ معالم الحقبة الجديدة بالوضوح تدريجياً وترسم في النهاية معالم هذه المرحلة التاريخية ، فقد اجتمعت هذه العوامل وخاصة العامل السياسي الذي تغير وبدا واضحً في عصر غرناطة وكذلك العامل الفكري شهد ازدهاراً ومن خلاله يمكن معرفة هذه الحقبة التي طغى عليها العامل السياسي واغلب من أرخ لهذه الحقب تأثر بالعامل السياسي .

لكن عملوا بنو الأحمر بقدر ما لديها من معاني الإسلام وما تمتلك من رسوخ العقيدة ان الذي أصاب المسلمين بتقصيرهم وتخاذلهم حين الهبوط عن المستوى الكريم الذي أراده الإسلام، كان أكثر مما أصابهم من عدوهم مع اعتبار أهمية هذا الأخير في الأشغال والاستنزاف والأطباق من كل جهة، ينتقص من أطرافها، ويأكل وجودها ويطحن حضارتها، ترابا تذروه رياحها العاصفة ومن أهم الإنجازات هو الاستعداد في تلك الظروف للمحافظة على ما تبقى للاندلس من أرض والحفاظ على التكوين والبناء الاجتماعي في عدد من الجوانب ولو بحدود تضيق او تتسع .

ان تفكك الأسرة المالكة في غرناطة وتشتت الطبقة المثقفة والحاكمة، وعدم ورع الجميع من التعاون مع العدو النصراني القشتالي للتغلب على خصمه المسلم، أدى كل ذلك أخيرًا إلى سقوط غرناطة ، تسلسل الأحداث ليس إلا منحنى مستمر للتدهور والانحدار الذي شهدته هذه الحقبة[17]، أنتجته تداعيات السقوط والتسليم والخضوع فالأحداث سارت نحو الهدف المرسوم لها من قبل السلطة القشتالية ظنًا منها أنها قادرة على هضم الآخر المهزوم، وإعادة إنتاجه فكريًا وثقافيًا ودينيًا، اتفاقية تسليم المدينة التي تنظم العلاقات بين السلطات القشتالية الكاثوليكية والسكان المسلمين، هي المعادلة للاتفاق الخادع [18] ، ملك قشتالة الذي وضع برنامج من منظور أيديولوجي يهدف إلى قلب الأوضاع الثقافية والدينية داخل غرناطة، وصبغها بالهوية القشتالية الكاثوليكية ، عملية على تغيير البنية الاجتماعية والثقافية للمدينة من خلال السيطرة العسكرية والسياسية على المدينة أولًا، ثم تغيير المكان الإنساني قسريًا عبر الأدوات المعدة من قبل أجهزة الدولة الأيديولوجية [19]، وفي سنة 897 هـ يقول السلاوي الناصري[20]: ((استولت الرينة إيسابيلا صاحبة مدريد قاعدة بلاد قشتالة على حمراء غرناطة ومحب دولة بنى الأحمر من جزيرة الأندلس ولم يبق للمسلمين بها سلطان))، وتفرق أهلها في بلاد المغرب وانتقل أبو عبد الله بن الأحمر آخر ملوك الأندلس إلى فاس لاجئ إلى الشيخ الوطاسي، فاستوطنها وبنى فيها العديد من القصور على الطراز الأندلسي .

الجانب الاقتصادي نحن اشرنا للعامل السياسي الذي لعب دوراً هاماً في هذه الحقبة والذي طغى على الجوانب الأخرى وتغافل عنه المؤرخون، اثرت هذه الأوضاع بالجانب الاقتصادي لدولة بني الأحمر، ومن اهم الجوانب التي تأثرت الزراعة اذ تميزت غرناطة بالسلاسل الجبلية اذ الأماكن الجبلية تشكل الجزء الأعظم من مملكة

غرناطة وهي صالحة للزراعة واستغلوا احواض الأنهار لزراعة النباتات التي تحتاج الى مناخ معتدل و ترويها قنوات مياه موزعة توزيعاً جيداً وتوزيعها يخضع لمعايير ثابتة ، لكن تعرضت هذه المزارع للهجوم أوقات الحرب وهي تنتج ما يكفي لدفع الضرائب والجزية لملوك قشتالة ، ومن عادات ملوك غرناطة (الهدية) التي يقدمها السفراء في غرناطة لملوك قشتالة كانت عبارة عن احمال من البلح والتين وعين الجمل والبرقوق وقصب السكر[21] .

تجارة الحرير تميزت به مدينة غرناطة فقد كانت اكبر مركز تجاري وصناعي فقد كانت صناعة الحرير توفر فرص عمل كثيرة وفي غرناطة سوق مركزية للحرير يفد اليها الكثيرون من كافة انحاء الاندلس وفيه الحرير المصنوع والخام، وتعتبر الضرائب المفروضة على هذا الإنتاج من اهم مصادر دخل الملوك في عصر بني نصير ، ويصل الدخل الملكي من صناعة الحرير الى 68 عملة مرابطية [22]، ((الملك يحصل على دخل من غرناطة اكثر من دخله من اية مملكة أخرى)) [23] لكن الصناعة تدهور مستواها شيئاً فشيئاً في عصر بني نصر.

الجانب الفكرية الظروف السياسية المضطربة بسبب كثرة الانقلابات والاغتيالات ، لم تتسم سلطة مملكة غرناطة بالولاء دائماً فقد شاعت ظاهرة الانقلابات على الحكام وكانت نهاية بعضهم مأساوية انتهت بقتلهم ، والحياة الاقتصادية الصعبة بسبب الحروب مع الممالك النصرانية في شمال المملكة، وعلى الرغم من سوء الأحوال المتزايد في غرناطة الإسلامية فقد كان شعبها من أنشط الشعوب في استغلال مواردها المحدودة وأكثرها حرصا على الثقافة والفنون، يشهد بذلك قصر الحمراء الذى يعد درة فنية نادرة، ثم من نبغ في غرناطة من كبار العلماء والأدباء فقد تم تسليط الضوء على العامل الساسي متناسين الجانب الفكري فقد كانت الحياة الفكرية والثقافية في حقبة مملكة غرناطة مزدهرة، لاستقرار الانسان ونضجه دوراً كبيراً في إيجاد ناتج تراكمي لجهده في حقبة من الزمان(التراكم المعرفي والتنافس الثقافي الذي عرفته تلك المرحلة)، وبنظرة واحدة لتراث الإنسان على الأرض، سنجد أمماً كثيرة خلّفت وراءها آثاراً عظيمة في العمران، والفلسفة، والقانون، والدين، والصناعة، والتجارة والفنون.

واستطاع محمد ابن الأحمر أن يستقطب العلماء والفقهاء الى إمارته التي ظلت حتى سنة 897 ه وقد استطاعت بعلمائها وأدبائها ومن آوى إليها من أدباء المدن الأندلسية الأخرى، فضلاً عن هجرة الكثير من الأدباء والعلماء الأندلسيين إلى مراكش والمشرق ونشروا آدابهم وعلومهم وذاع صيتهم، وكان لغرناطة والمدن التابعة لها مثل مالقة الحظ الأوفر في الحركتين العلمية والأدبية ونرى أمراءها منذ الأمير محمد الفقيه (671 ه- 701ه) يرعون العلماء والشعراء، وعرف باسم الفقيه لدراسته الفقه أيام أبيه وشغفه به، ويبدو أنه كان شغوفا بكل فروع العلم حتى العلوم العقلية[24]، ومن العلماء الذين استدعاهم الأمير محمد من مرسية العالم محمد بن إبراهيم الأوسي ومحمد بن أحمد الرقوطى كي يدرسوا الطلاب في غرناطة العلوم الطبية والفلسفية [25]، ولعل أكبر نهضة علمية حدثت في عهد بني الأحمر في غرناطة في عهد الامير أبو الحجاج يوسف الأول(733 ه- 755ه) الذى أنشأ لأول مرة في غرناطة بل ربما في الأندلس مدرسة سماها المدرسة النصرية ومعروف أنه لم يكن لأهل الأندلس مدارس لتعليم فروع العلم، بل كانوا يدرسونها جميعاً في المساجد أو في دور العلماء[26].

ازدهرت في غرناطة العلوم والفنون والآداب والفلسفة وكان سلاطينها يشجعون هذه النهضة ويرعونها ويجودون عليها بالغالي والنفيس وازدهرت الزراعة عبر موانئها الجنوبية الواقعة على البحر الابيض المتوسط ففيها عاش لسان الدين بن الخطيب وقضى ابن خلدون بعض الوقت من عمره في بلاط بني الاحمر ان صمود غرناطة لهذا الزمن الطويل يرجع لعدة اسباب منها منعة غرناطة و صراعات الاسبان الداخلية وحنكة سلاطين بني الاحمر السياسية وايمانهم بأنهم الحماة للمسلمين في الاندلس ويجب الحفاظ على ماتبقى من الأرض الاندلسية [27].

لكن الاثار السلبية للوضع أدت الى هجرة عدد ملحوظ من الشخصيات البارزة الى المغرب من وزراء وعلماء وادباء ومنهم ابن الخطيب ، وقد ارخ لهذه الحقبة التاريخية الكثير من المؤرخين ، اود الإشارة الى التدوين التاريخي في هذه الحقبة صرح ابن الابار (ت 658ه) برفضه العودة الى ماتم إنجازه قبله وانطلاق في تشييد طوابق المشروع الاندلسي التاريخي من حيث انتهى سلفه ، فإن بقية كتاب الصلات والتذييلات والتكملات اكتفوا بهذه التسميات التي توحي بما صرح به ابن الابار فكل منها تحمل معنى الإضافة العلمية وتجاوز المجهود السابق وهكذا يتجلى تصور الاندلسيين العام لزمنهم الخاص متميزاً بالتمركز حول الحاضر وعدم الاسراف في تقديس الماضي[28]، و ممن دون لتاريخ الاندلس والوقت المعاصر له، واهمهم:

- لسان الدين ابن الخطيب (ت 776 ه) الذي دون مؤلفاته على أساس التمركز حول الحاضر واهمها كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) و (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) هذه المؤلفات تخص غرناطة وملوكها المعاصرين للمؤرخ لسان الدين ابن الخطيب ، والذي استغل مناصبه السياسية التي تقلدها في دولة بني الأحمر، وكان قريباً من الأحداث ومشاركاً فيها، فجاءت مؤلفاته التاريخية مصادر أساسية لكل ما يتعلق بتلك المرحلة من الوجود العربي من الأندلس، وله رسائل مشهورة منها السلطانية ومنها الفلسفية ومنها الإخوانيات [29].
- ابن الأحمر الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر (ت 807 هـ) صاحب كتاب (نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان) وفيه تناول سير الكتاب والشعراء المشهورين في القرن الثامن للهجرة، كما له كتاب (نثير

الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان) وفيه يتحدث عن شعر الملوك من بني الأحمر تحت باب مسمى (من بني نصر قومي وأبنائهم) وكذلك وبني مرين وبني حفص وبني عبد الواد، وكذلك عن شعر وزراء الأندلس وقضاتها نفس الأسلوب المتبع من قبل المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب فقد ركز على الحاضر والمعاصر لدولة بني الأحمر من الملوك والامراء [30] وبذلك اختلف التدوين التاريخي في عصر سلطنة غرناطة فقد تركز على الحاضر وترك الماضي والتركيز على الاحداث السياسية المعاصرة .

ومن الشخصيات الأدبية التي عاصرت ابن الخطيب أبو سعيد فرج بن لب (ت 782 ه)، وكان شاعراً يتسم شعره بالرقة والسهولة ويختتم رواد الحركة الأدبية أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي المعروف بابن زمرك (ت 797 ه) تلميذ ابن الخطيب، والساعي إلى قتل أستاذه عام 776 هـ وقد ترك لنا ابن زمرك مجموعة قصائد في المدح والوصف والغزل، كما برع في الموشحات [31] .

أما أبرز معالم هذه الحقبة في مملكة غرناطة قلعة ومسجد وقصر الحمراء الذي يعد واحدا من روائع العمارة في العالم، بنيت قلعة وقصر الحمراء لتلبي احتياجات متعددة، فعلى الصعيد العسكري، كانت قلعة ذات أسوار منيعة، استطاع حكام غرناطة المسلمون بفضلها الحفاظ على مملكتهم من الأطماع العسكرية لقرون[32].

من جهة أخرى، صمم قصر الحمراء ليكون قصر الخلافة ومسجد جامع كبيرا، كان في أوج ازدهار المملكة منبع العلماء وملتقى الدارسين من بلاد الأندلس وبلاد المغرب، وتخرج منه أسماء كبار ليس أقلها العلامة الأندلسي الغرناطي الشاطبي إبراهيم بن موسى [33].

كما يضم قصر الحمراء عجائب معمارية جسدت عبقرية المهندسين والمعماريين العرب والمسلمين في بلاد الأندلس، مثل النافورة المحاطة بخمسة أسود تتدفق من أفواهها المياه بشدة، ترتبط بارتفاع الشمس خلال النهار. وقد حاول مهندسون إسبان وأميركيون التنقيب في الأقنية التي تغذي تلك النافورة لمعرفة سر هذا التصميم العبقري، فلم يتمكنوا من ذلك وأدى تنقيبهم إلى عطب منظومة الأقنية وتوقف المياه عن الجريان فيها، التي ما زالت باقيه أثارها اليوم و في تلك الظروف مثل هكذا إنجازات فهو انجاز مهم.

الخاتمة

في نهاية البحث توصلت الى الآتي:

- يعتبر التحقيب من بين الوسائل الضرورية لتأطير وتنظيم أحداث الماضي بهدف الوقوف على معانيها ومدلولاتها التاريخية الحقيقية، ويساعد على تقريب التاريخ من أفهام الناس.
- ما حدث في هذه الحقبة هو نتاج تراكمي للعصور السابقة إذا لا يمكن تحميل بني الأحمر المسؤولية لوحدهم وانما هم جاءوا في فترة مضطربة ورغم ذلك استطاعوا ان يحكموا لمدة قرنين ويدافعوا عن المسلمين.
- احتفظت غرناطة بأغلب بهارج المجتمع الإسلامي المستقل بتراثيبها الاجتماعية التقليدية ومؤسساته الدينية ونخبها الثقافية، لان حركة الابداع تقوم على تراكم التجارب وليست مجرد قفزات او نزوات تحدث بين عشية وضحاها لان التقدم العلمي كان في اوج ازدهاره لا يمكن ان تتهاوى صروحه دفعة واحدة لمجرد ان الدولة انتقلت من حكم الى حكم اخر لان احداث النقلات الإبداعية سلباً وايجاباً لابد له من مدى زمني، لذلك نواجه صعوبة في نقض نسيج التحقيب السياسي والادبي.
- تم تحقيب التاريخ الاندلسي على اساس الزمن السياسي فوزعوه على عصور دون مراعاة الفوارق والخصوصيات، ورغم هذه التوزيع نلاحظ النهضة الأدبية التي تمثل المعجزة مستمرة في عصر مملكة غرناطة فقد شهدت نهضة فكرية وثقافية وادبية في ظل الفشل السياسي.
- شهدت هذه الحقبة انطلاقة جديدة في تدوين التاريخ الاندلسي فقد تم تشييد طوابق المشروع الاندلسي التاريخي من حيث انتهى سلفه، وهكذا يتجلى تصور الاندلسيين العام لزمنهم الخاص متميزاً بالتمركز حول الحاضر وعدم الاسراف في تقديس الماضي.

المراجع

(1) العروي ، عبدالله ، مفهوم التاريخ ، الدار البيضاء، المركز العربي الثقافي،1992م، ج/2، ص272 ؛ الحداد ، محمد ناصر ، قراءات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة الناصر: مجلة الجامعة، العدد 4، 2014، ص 364-365.

(2) العروي، عبدالله ، مجمل تاريخ المغرب، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1984م، ص.21.

(3) توفيق، أحمد ، تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، أفكار في التحقيب ، مجلة المشروع، العدد. 9، 1987، ص.13.

(4) العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ص.21؛ المنصـــوري، محمد الطاهر ، منطق التحقيب التاريخي، ندوة أسطور حول التحقيب في التاريخ العربي الإسلامي"، مجلة أسطور، العدد.03، 2016، ص. 227 .

(5) المنصـــوري ، منطق التحقيب التاريخي، ندوة أســطور حول التحقيب في التاريخ العربي الإســلامي ، ص. 227؛ لخصاصي، المصطفي ، تدريس التاريخ و الجغرافيا، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، 2012، ص .67 .

(6) المقري، احمد بن محمد المغربي المالكي التلمساني (ت 1041ه) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر، بيروت 1997م ، ج1 ، ص 447– 449.

(7) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 808ه) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـرهم من ذوي الشـأن الأكبر، تح: خليل شـحادة ، دار الفكر، بيروت، 1988 م ، ج 4/ ص 222 .

(8) ابن الأحمر ، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري (ت 807هـــ) ، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ، تح: الدكتور محمد رضـوان الداية ، مؤسـسـة الرسـالة، بيروت، 1976 م، ج1/ ص 218.

(9) ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج4/ ص 222 ؛ ابن الأزرق الغرناطي ، محمد بن علي الأصـبحي (ت 896ه) ، بدائع السـلك في طبائع الملك ، تح: علي سـامي النشـار، وزارة الإعلام ، العراق ، د. ت ، ج1/ ص 218.

(10) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي الأندلسي، الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424 ه، ج1 / ص 119 ؛ اللمحة البدرية في الدولة النصـرية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت ، ص 33 – 34 .

(11) السلاوي الناصري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت 1315هـــ) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصري ، و محمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، د. ت ، ج4 / ص 102.

(12) ديوان المبتداء والخبر ، ج 1 / ص 184.

(13) ابن بسام الشتريني ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفي: 542هـــ) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح : إحسان عباس ، ط1 ، الدار العربية للكتاب، ليبيا ،1981م ، ج5/ ص 188.

(14) المقري، نفح الطيب في غصـن الاندلس الرطيب، ج 1، ص 447؛ فرحات ، يوسـف شـكري ، غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات ، 1982م ، ص 168.

(15) المقري، نفح الطيب في غصـــن الاندلس الرطيب، ج 5، ص 509 – 511؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 168؛ الركابي، عبد الله مفتن، لعيبي، كريم عاتي، رينهرت دوزي وموقفه من قيام الدولة الاموية

في الاندلس من خلال كتاب المسلمون في الاندلس، مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية، الجامعة المستنصرية، 2024، ص 290.

(16) دي مندوثا ، اورتادو ، حرب غرناطة ، ترجمة : ايمان عبد الحليم و سلوى محمود ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2008م ، ص 130 .

(17) المنتصر بالله الكتاني، علي بن محمد، انبعاث الإسلام في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005 م ، ص 50 .

(18) سمير، اقبال ، رمزية سقوط غرناطة في ثلاثية رضوى عاشور ، فصول ، مصر ، 2005م ، ص 164.

(19) سمير، رمزية سقوط غرناطة في ثلاثية رضوى ، ص 169 ؛ احمد الكامون ، هاشم السقلي ، التأثير المورسكي في المغرب ، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، المغرب ، 2010م ، ص37 .

(20) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2/ ص 160 .

(21) باروخا، خوليو كارو ، مسلمو مملكة غرناطة ، ترجمة : جمال عبد الرحمن ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، 2003م ، ص 101– 102 .

(22) باروخا، المصدر نفسه، ص 103– 104.

(23) باروخا ، المصدر نفسه، ص 105.

(24) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 3 / ص 67 – 68.

(25) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، 1995 م، ج8/ ص69.

(26) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1 / ص 508؛ شوقي، تاريخ الأدب العربي، ج 8/ ص 70؛ الباوي، منذر منعم سعد، اخبار اسرة وبيت مخلد بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن القرطبي في نشر العلوم الدينية في الاندلس من خلال كتب السير والتراجم حتى نهاية (650هـ/1252م)، مجلة آداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، العدد 105، اذار، سنة 2024، ص 580.

(27) عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1997 م، ج5 / ص 52 .

(28) آدب ، أدي ولد ، المفاضلات في الادب الاندلسي (الذهنية والانسياق)، التحقيب (جدل الادب و الحقب)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، 2015م ، ص 335.

(29) المقري، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج 5، ص 509 – 511؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج5 / ص 52 ؛ الجيزاني، فراس زبون شلش، التدوين التاريخي في الاندلس، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، محلق العدد 74، سنة 2012، ص 148.

(30) عنان، نهاية الأندلس، ص 485 – 486.

(31) المقري، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج 5، ص 509 – 511؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج5 / ص 52 ؛ عنان، ، نهاية الأندلس، ص 472؛ فرحات، غرناطة، ص 176.

(32) المقري، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ج 4، ص 511 – 511؛ المنتصر بالله الكتاني ، انبعاث الإسلام في الاندلس ، ص 287

(33) الشـــاطبي، إبراهيم بن موســـى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الاعتصـــام، تح: محمد بن عبد الرحمن الشقير ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، 2008 م، ص 22 .

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract
Among the problems facing historical researchers is the problem of chronological divisions, or what is known as historical periodization. The issue of periodization has attracted the attention of a group of thinkers, some of whom were able to address it and strive to find an explanation for it. Periodization is considered one of the necessary means for framing and organizing past events according to chronological divisions with the aim of identifying their true historical meanings and implications. It helps bring history closer to people's understanding. This study addresses the problem of periodization in the Sultanate of Granada, which is considered a single, complete "era" that is both different and similar to the independent eras that Andalusia experienced, given that it was distinguished from those that preceded it.
Keywords: Andalusia, Granada, periodization, Banu al-Ahmar, Nasrids